

أحلام في قصر (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

كان فلان بن الأمير فلان يتنبل في نفسه بأنه مشتق من
بضع القوايين لا من ينجع لها ، فكان تياها صلفاً يشمخ
على قومه بأنه ابن أمير ، ويختال في الناس بأن له جدًّا من
الأمراء ، ويرى من تجبُّه أن ثيابه على أعطافه كدود الملكة
على الملكة لأن له أسلاف الملك

وكان أبوه من الأمراء الذين ولدوا في دمهم شعاعُ السيف
وبريق التاج ، ونخوة الظفر ، وعزَّة المهر والنبل ؛ ولكن زمنه
صرب الحصار عليه ، وأفضت الدولة إلى غيره فراجت فيه
ملكات الحرب من فتح الأرض إلى شراء الأرض ، ومن
تشديد الامارات إلى تشديد العمارات ، ومن إدارة معركة الأبطال
إلى إدارة معركة المال ؛ وغبر دهره ملك ويجمع حتى أصبحت
دقار حباه كأنها (خريطة) مملكة صغيرة

وبعض أولاد الأمراء يعرفون أنهم أولاد أمراء فيكونون
من التكبر والغرور كأنما رضوا من الله أن يرسلهم إلى هذه
الدنيا ولكن بتروط

وانقل الأمير البخيل إلى رحمة الله ، وترك المال وأخذ
معه الأوقام وحدها بحاسب عنها ، فورثه ابنه وأسرَّ يده في
ذلك المال يعمره ؛ وكانت الأقدار قد كتبت عليه هذه الكلمة :
غير قابل للاجسان . فحتها بعد موت أبيه ، وكتبت في مكانها
هذه الكلمة : يُجمع للشيطان

أما الشيطان فكان له عمل خاص في خدمة هذا الشاب ،
كعمل خازن الثياب لسيدة ، غير أنه لا يلبسه ثياباً بل أفكاراً
وآراءً وأخيلة . وكان يجهد أن يدخل الدنيا كلها إلى أعصابه
ليخرج منها دنيا جديدة مصنوعة لهذه الأعصاب خاصة ، وهي
أعصاب مريضة تأرة متلهبة لا يكفها ما يكفي غيرها فلا تبرح
تسأل الشيطان بين الحين والحين : ألا توجد لذة جديدة غير
معروفة ؟ ألا يستطيع إبليس القرن العشرين أن يخترع لذة

(١) كتبنا مقالة (أحلام في الجارح) وهي في السنة الثانية من الرسالة

مبتكرة ؟ إلا تكون الحياة إلا هي هذه الوتيرة من صباحها لصبحها ؟
كان الشاب كالذي يريد من إبليس أن يخترع له كأساً
تسع نهرًا من الخمر ، أو يجده له امرأة واحدة وفيها كل فنون
النساء واختلافهن . وكان يريد من الشيطان أن يعينه في اللذة
على الاستغراق الروحاني وينمره بمثل التجليات القدسية التي
تنتهي إليها النفس من حدة الطرب وحدة الشوق ؛ وذلك فوق
طاقة إبليس ، ومن ثم كان معه في جهد عظيم حتى خيبر منه ذات
مرة فهم أن يرفع يده عنه ويدعه يدخل إلى المسجد فيعلى
مع بعض الأمراء الصالحين

وهؤلاء الفساق الكثيرو المال إنما يعيشون بالاستطراف
من هذه الدنيا ، فهم دائماً الألد والأجل والأعلى ؛ وحتى
انتهت فيهم اللذة منهاها ولم تجد عاطفتهم من اللذات الجديدة
ما يسد لها ضاقت بهم فظهرت مظهر الذي يحاول أن يتجر .
وذلك هو اللال الذي يُبتلون به .. والفساق الذي حين يعمل من
لذاته يصبح شأنه مع نفسه كالذي يكون في تنق تحت الأرض
ويريد هناك أسماء وجواً يطير فيهما بالطيارة ...

قلوا : واعترض ابن الأمير ذات يوم شحاذاً مريضاً قد
أسنَّ وعجز يتحامل بمضه على بعض ، فسأله أن يحسن إليه وذكر
عوزته واختلاله وجعل يبثُّه من دموعه وألفاظه . وكان
إبليس في تلك الساعة قد صرف خواطر الشاب إلى إحدى
الثانيات المتدمات عليه وقد ابتاع لها حلية ثمينة اشتطَّ بائعها في
التمن حتى بلغ به عشرة آلاف دينار ، فهو يريد أن يهديها إليها
كأنها قدرٌ من قادر وقطع عليه الشحاذاً المكين أفكاره
المضيئة في الشخص المضيء . فكان إهانةً لخياله السامي ووجد
في نفسه غضاضةً من رؤية وجهه واتماز في عروقه ديم الامارة
وتحركت الوراثة الحربية في هذا الدم

ثم أتى الشيطان لإقائه عليه ، فاذا هو يرى صاحب الوجه
القذر كأنما يتهم به يقول له : أنت أمير يبحث الناس عن
الأمير الذي فيه فلا يجدون إلا الشيطان الذي فيه . وليس فيك
من الامارة إلا مثل ما يكون من التاريخ في الموضع الأثرى
الحرب . ولن تكون أميراً بشهادة عشرة آلاف دينار عند
مومس ، ولكن بشهادة هذا المال عند عشرة آلاف فقير .

صرت جميعاً إلى التراب فليس في التراب عظمٌ يقول لعظم آخر :
أيها الأمير

قالوا : وفكر الشاب المسكين في صواجه من النساء
وعندهن شبابه وإسرافه ، ونفقانه الواسعة فقال في نفسه : اذهب
لاحداهن ؛ وأخذ سمته إليها فاكادت تعرفه عينها في أسماله
وبذاذته وقره حتى أمرت به فجراً بيديه ودُفع في قفاه . ولكن
دم الامارة نزا في وجهه غضباً وتحركت فيه الورانة الحربية
فصاح وأجلب واجتمع الناس عليه واضطربوا وماج بعضهم في
بعض . فبينما هو في شأنه حانت منه التفاتة فأبصر غلاماً قد دخل
في غمار الناس فدرس يده في جيب أحدهم فقتل كيسه ومضى
قالوا : وجري في وهم ابن الأمير أن يلحق بالغلام فيكتبه
كعبة الشرطي ويتزع منه الكيس ويتفجع بما فيه ، فقتل
من الزحام وتبع الصبي حتى أدركه ، ثم كسبه وأخذ الكيس
منه وأخرج الكثر فاذا ليس فيه إلا خاتم وحجاب وبعض
خرزات مما يتبرك العامة بحمله ومفتاح صغير . . .

فامتلاً غيظاً وفاردم الامارة وتحركت الورانة الحربية التي
فيه - وألم الصبي بما في نفسه وحَدَسَ على أنه رجل أفاقٌ
متبطل لا نفاذ له في صناعة يرتزق منها ، فرئى لفقره وجهه ودماه
إلى أن يعلمه السرقة وأن يأخذه إلى مدرستها . وقال : إن لنا
مدرسة فاذا دخلت التسم الاعدادى منها تعلمت كيف تحمل
السِكِّتِل^(١) فنذهب كأنك تجمع فيه الخرق البالية من الدور
حتى إذا سَنَحَتْ لك غفلة انملت إلى دار منها ، فسرت
ماقتله يدك من توبه أو متاع ، ولا تزال في هذا الباب من
الصنعة حتى تحمكه ، ومتى حذقتَه ومهرت فيه انتقلت إلى
القسم الثانوى . . .

فصاح ابن الأمير : أغرب عني ، عليك وعليك ، أجزاك الله
وامن الله الاعدادى والثانوى معاً

ثم إنه رمى الكيس في وجه الغلام وانطلق ، فبينما هو يمضى
وقد توزعت المهوم أنشأ يفكر فيما كان يراه من المكدين وتلك
الملل التي يتحلونها للكديبة كالذي يتعاطى والذي يتعارج والذي
يحدث في جسمه الآفة ؛ ولكن دم الامارة اشأز في عروته

(١) هو كالفنعة يعمل من الخوص

أنت أمير ، فهل تثبت الحياة أنك أمير أو هذا معنى في كلمة من
اللغة ؟ إن كانت الحياة فإن أعمالك ، وإن كانت اللغة فهذه لفظة
بأداة تدل في عصور الأخطاط على قسط حاملها من الاستبداد
والظفیان والجبروت ، كأن الاستبداد بالشعب غنيمة يتناهبها
عظاؤه ، فقسّم منها في الحاكم وقسم في شبه الحاكم يترجم عنه
في اللغة بلقب أمير

ألا قل للناس أيها الأمير : إن لقي هذا إنما هو تعبیر الزمن
عما كان لأجدادى من الحق في قتل الناس وامتهانهم

وكان هذا كلاماً بين وجه الشحاذ وبين نفس ابن الأمير في
حالة بخصوصها من أحوال النفس ، فلا جرم أهين الشحاذ وطرد
ومضى يدعو بما يدعو

ونام ابن الأمير تلك الليلة فكانت خياله^(١) من دنيا
ضميره وضمير الشحاذ : فرأى فيما يرى النائم أن ملكاً من اللاتكة
يهتف به :

ويك ! لقد طردت ذلك المسكين تخشى أن تنالك منه جرائم
تمرض بها ، وما علمت أن في كل سائل فقير جرائم أخرى
تمرض بها النعمة ؛ فان أكرمته بقيت فيه وإن أهنته تنفضها
عليك . لقد هلك اليوم نعمتك أيها الأمير واسترد العارية
صاحبها وأكلت الحوادث مالك فأصبحت فقيراً محتاجاً تروم
الكسرة من الخبز فلا تنهياً لك إلا يجهد وعمل ومشقة ؛
فاذهب فاكح لبشك في هذه الدنيا فإليك حق على الله
أن تكون عند الله أميراً

قالوا : وينظر ابن الأمير فاذا كل ما كان لنفسه قد تركه
حين تركه المال ، وإذا الامارة كانت وهماً فرضه على الناس قانون
العادة ؛ وإذا التماظم والكبرياء والتعجب ونحوها إنما كانت
مكرراً من المكر لا ثبات هذا الظاهر والتمزّز به . وينظر
ابن الأمير فاذا هو بعد ذلك صملوك أبتير مُقدم رث الهديئة
كذلك الشحاذ ، فيصيح مفتانكاً : كيف أهملتني الأقدار وأنا
ابن الأمير ؟

قالوا : ويهتف به ذلك الملك : ويحك إن الأقدار لا تدل
أحدًا لاملكا ولا ان ملك ولا سوقياً ولا ابن سوقى ، ومتى

(١) الخيالة : ما يترأى للنائم من الأشباح في نومه

فوز نسوي مبدع

ملكات ووزيرات

بين الماضي والحاضر

للأستاذ محمد عبد الله عنان

منذ فجر التاريخ استطاعت المرأة أن تتبوأ الملك وأن تحكم الشعوب؛ وهي ما زالت تتبوأ الملك وتحكم الشعوب في عصرنا ويقدم لنا التاريخ منذ المصور القابرة نبأ حافلاً من ملكات عظام شغلن عروشاً خطيرة، وأتميت اليهن مصائر أم وشعوب عظيمة، وفن بتدبير الملك وقيادة الجيوش؛ ففي مصر الفرعونية، وفي مملكة سبأ، وفي تدمر، يتبوأ الملك نساء قويات المزم والشكيمة؛ وفي مصر أيضاً نرى ملكة رائدة الحسن هي كليوباترا تحاول رد النزول الروماني عن مصر، وتفتدى المهزبة بالحياة؛ ثم نرى في عصر الإسلام ملكة مصرية هي شجرة الدر تنظم شؤون الدفاع عن مصر إزاء الخطر الصليبي؛ ونرى في القرب، وفي العصر الحديث، عدة من الملكات العظيمات يسهرن على مصائر أعظم الأمم الأوربية مثل إيزابيلا ملكة قشتالة، وماري تيودور واليصابات ملكتا انكلترا، وكاترين الكبرى امبراطورة روسيا، وماريا تريزا امبراطورة النمسا وفي أيامنا تتبوأ عرش هولندا أميرة عظيمة هي الملكة ولدينا؛ بيد أنه من غرائب الاتفاق ومفارقات الحوادث أت المرأة التي وصلت منذ المصور القابرة إلى تبوء العروش وقيادة الدول ما زالت تناضل في عصرنا للحصول على أبسط الحقوق العامة التي يتمتع بها الرجل، فإنا ظفرت ببعض هذه الحقوق في بلد من البلاد اعتبر ذلك فوزاً عظيماً لفضيلتها

وقد وقع أخيراً في فرنسا حادث يعتبر فوزاً عظيماً للحركة النسوية؛ ففي الوزارة الفرنسية الجديدة التي رأسها زعيم الاشتراكية الفرنسية، ميو ليون بلم ثلاث نساء يشغلن مراكز الوزارة، وهن مدام سيسيل برونشفيج إحدى زعيمات الحركة النسوية الفرنسية، ومامد ايرين كوروي المالمة الكيميائية

ونجرت فيه الوراثة الحرية؛ وبصر بشاب من أبناء الأغنياء تنطق عليه النعمة فتمرض لمروفة وأفضى إليه يهته وشكا ما نزل به ثم قال: وإني قد أمثلك وظني بك أن تصطيني لمادمتك أو تلحقني بخدمتك، وما أريد إلا الكفان من العيش، فان لم تبلغ بي القليل الذي يبيش به المقل. وسمد فيه الشاب وصوب ثم قال له: أتحسن أن تلتطف في حاجتي؟ قال: سأبلغ في حاجتك ما تحب. قال الشاب: ألك سابقة في هذا؟ أأكنت قوآداً؟ أتعرف كثيرات منهن...؟

فانتفض غضباً وهم أن ييطش بالفتى لولا خوفه عاقبة الجريمة، فاستخفى ومضى لوجهه، وكان قد بلغ سوقاً فأمل أن يجد عملاً في بعض الحوانيت، غير أن أصحابها جعلوا يزجرونه مرة ويطردونه مرة، إذ وقعت به غنة التلصص، وكادوا يسلمونه إلى الشرطي فضى هارباً وقد أجمع أن ينتحر ليقتل نفسه ودهره وامارته وبؤسه جيماً

قالوا: ومر في طريقه إلى مصرعه بامرأة تبيع الفجل والبصل والكرات وهي بادة وضيفة ممتلئة الأعلى والأسفل، وعلى وجهها مسحة إغماء، فذكر غزله وفتنته واستفواه للنساء، ونازعت النفس، وحسب المرأة تكون له معاشاً وهوأ، وظنها لا تعجزه ولا تفوته وهو في هذا الباب خراج ولاج منذ نشأ، غير أنه ما كاد يراودها حتى ابتدرته بلطمة أظلم لها الجو في عينيه، ثم هربت في وجهه هرباً منكراً واستعدت عليه السابلة فأطافوا به وأخذ الصنع بما قدم وماحدث، ومازالوا يتماورونه حتى وقع متشياً عليه

ورأى في غشيته ما رأى من تمام هذا الكرب فحُرب وحُبس وابتلى بالجنون وأرسل إلى المارستان وساح في مصائب العالم وطاف على نكبات الأمراء والسوقة بما يبى وما لا يبى، ثم رأى أنه قد أفاق من الاغماء فاذا هو قد استيقظ من نومه

وباليت من بدري بمد هذا! أغانا ابن الأمير على المسجد وأقبل على الفقراء يحسن إليهم، أم غدا على صاحبه التي امتنعت عليه فاتباع لها الحلية بعشرة آلاف دينار؟

يا ليت من بدري! فان الكتاب الذي قلنا القصة عنه لم يذكر من هذا شيئاً بل قطع الخبر عند ما انقطع الصنع.....

محمد عبد الله عنان

(فظاً)